

### الوحدة 3 الفيديو 1: البحث عن العلاجات واللقاحات.

مرحباً. أهلاً وسهلاً بكم مجدداً في دورتنا للدراسات الجامعية الإلكترونية المفتوحة حول "الصحافة في زمن الجائحة: تغطية فيروس كورونا المستجد كوفيد 19 اليوم وفي المستقبل". إننا بلغنا فجأةً منتصف الطريق. ولقد نظرنا إلى ما أوصلنا إلى هذه المرحلة وإلى ماهية تجربة الجائحة في أنحاء العالم كافة.

سنبحث هذا الأسبوع في القصص الممكنة حول الأمور التي من شأنها تغيير مسار الوباء: إمكانيات التوصل إلى علاج لمرض كوفيد 19، والأمل في أن يتمكن العلم من تطوير لقاح للوقاية من العدوى بفيروس كورونا.

للمساعدة في استكشاف هذه كلها، سنسمع في مقاطع الفيديو من الدكتورة جولي غربردينج، المديرية السابقة للمراكز الأمريكية لمكافحة الأمراض والوقاية، ونائب الرئيس التنفيذي والمسؤولة عن المرضى في الوقت الحالي في شركة الأدوية "ميرك"، المعروفة باسم "إم إس دي" خارج الولايات المتحدة. تعمل ميرك على تطوير لقاح ضد فيروس كورونا وقد سبق وطوّرت لقاحاً للإيبولا. سنسمع أيضاً من الكاتبة ضمن طاقم مجلة "وايرد" ميغان مولتيني، التي كانت تغطّي البحث عن اللقاحات والعلاجات منذ بدء الجائحة. وفي مقطع إضافي، سنسمع من غاري شواينزر، مؤسس المنشور الإلكتروني "هيلث نيوز ريفيو"، الذي يدرّب الصحفيين على كيفية تغطية المواضيع الطبية بدقة ومقاومة الترويج الدعائي.

على مدى الأسبوعين الماضيين، برزت من بين الأمور التي كانت ضمنية في القضايا والقصص التي بحثنا فيها التجارب المختلفة مع الجائحة في بلدان الغرب الصناعي التي تملك معظمها أنظمة صحية عامة ممولة بشكل جيد، وفي الجنوب العالمي حيث لا تتمتع هذه الأنظمة بالتمويل الكافي. ويعيد البحث عن اللقاحات والعلاجات تأطير انعدام المساواة هذا، لأننا جميعاً فيه عند نقطة الصفر. ولا يملك أحد حتى الآن الأمور التي نحتاجها. لذا في تغطية هذا الجانب من الجائحة، إننا نبدأ جميعاً من المكان نفسه.

لكن الجميع يستमित لتغيير شيء ما في مسار هذه الجائحة. وتكمن هذه الاستماتة وراء الموضوع الأول الذي ينبغي أن نتحدث عنه، وهو الارتباك حول ما يصلح لهذا المرض والعلاجات الكاذبة التي يجري الترويج لها. يتناسب هذا مع ما تحدثنا عنه الأسبوع الماضي، المعلومات المضللة والمعلومات الخاطئة وكيفية صدّها.

والمشكلة الأكبر هنا هي دواء الهيدروكسي كلوروكين. إنّه دواء قديم للملاريا عاد إلى الساحة مع كوفيد 19 بعد أن حصل على الثناء من قبل باحث فرنسي أعطاه دفعاً في الدراسات، ثم أصبح محطّ تركيز جهابذة التكنولوجيا في سيليكون فالي. وأصبح قضية البيت الأبيض في الولايات المتحدة وشبكة الأخبار المفضلة لديه، فوكس نيوز.

إنّني أكرّر منذ أسبوع هيدروكسي كلوروكين، هيدروكسي كلوروكين، هيدروكسي كلوروكين. إننا نتحدث عن هيدروكسي كلوروكين. إنه بخس الثمن. يُعتبر آمناً. لذا يُعدّ الهيدروكسي كلوروكين في جوانب عدّة الدّواء المثالي. فالهيدروكسي كلوروكين دواءً قويّ جداً.

لقد اشترت الحكومة الأمريكية ملايين الجرعات من الدّواء؛ وطرد الرئيس البرازيلي وزير الصحة بسبب معارضته لاستخدامه؛ كما أصبح معيار الرّعاية في أفريقيا جنوب الصحراء الكبرى. مع ذلك، تبين لاحقاً في الدراسات أنّ الهيدروكسي كلوروكين لا يشكّل فرقاً في تطوّر مرض كوفيد، وأنّ المرضى المصابين بكوفيد الذين يأخذون هذا الدّواء أكثر عرضةً للوفاة من المرضى الذين لا يأخذونه.

لقد أدرجنا بعض القصص عن الهيدروكسي كلوروكين في قراءات هذا الأسبوع، ونشجّعكم على أن تفكّروا في علاجات الفيروس التي تلقى الثناء في بلادكم. هل يمكن الناس الذين يدفعون قدماً بها أن يستشهدوا بأدلة علمية؟ في حال تعدّد ذلك، هل يمكنكم أن تعرفوا من المستفيد من بيع العلاجات؟ هل يُصنّع الدّواء محلياً، ومن يملك تلك المصانع؟

حسناً. هذا بالنسبة إلى العلاجات المزيفة. دعونا ننقل الآن إلى الحقيقة.

ما لم نتمكن من علاج فيروس كورونا أو منعه، فمن المستبعد أن تعود حياتنا إلى سابق عهدها. لذا تتّجه الآمال المُستमितّة إلى العلاجات واللقاحات الممكنة. ويأتي هذا من أشخاص يخافون من الإصابة بالمرض كما من أطباء لا يريدون أن يفقدوا مرضاهم بسبب المرض.

لكن لا يمكن أيضاً تصوّر المكافآت المادية وعلى صعيد السمعة للشركات التي ربّما ستتمكّن من التوصل إلى حقنة أو إلى دواء. إذا يُرَجَّح أن تكثر الدعاية الترويجية في هذا المجال؛ وإمكانية الاحتيال؛ والحاجة القصوى لصحافة نقدية متشكّكة.

لنلق نظرة على الأدلة المطلوبة للحصول على موافقة على دواء. لدينا ما يُسمّى "المعيار الذهبي"، حيث تقدّم الدراسة أكثر الأدلة موثوقة وهي التجربة السريرية التي تمرّ في عدّة مراحل:

...من المرحلة الأولى التي تستخدم عدداً قليلاً فقط من الناس لاختبار سلامة الدّواء المركّب، وصولاً إلى المرحلة الثالثة، حيث يُعطى الدّواء لآلاف من الناس لمعرفة ما إذا كان يعمل بالطريقة التي قصدها مخترعه، مقارنةً بفعالية دواء آخر موجود بالفعل في السوق.

وإنّ الوكالات الرئيسية لترخيص الأدوية -مثل هيئة الأغذية والأدوية الأمريكية، ووكالة الأدوية الأوروبية، والمنظمة المركزية لضبط معايير الأدوية في الهند، والإدارة الوطنية للمنتجات الطبية في الصّين- غالباً ما تطلب أن ترى المزيد من الدراسات بعد الموافقة على الدّواء والسّماح بتسويقه، وهذا ما يُعرف بالمرحلة الرّابعة التي تشمل الآلاف من الناس. فالمرحلة الرّابعة تنتظر في المشاكل الطويلة الأمد لجهة السلامة والفعالية، وتمنح الشركة الدّخيرة لتطلب إلى المنظمين السّماح لها بتقديم مطالبات إضافية بشأن دوائها.

وعليكم أن تعلموا، إذا لم تكونوا تعلمون بالفعل، أنّ هذه العملية ليست سريعة. فالفترة بين التعرّف إلى مركّب واعد والحصول على ترخيص لدواء جديد غالباً ما تستغرق بين 10 و15 عاماً، مع تكلفة تصل إلى مليار دولار أمريكي تقريباً. إنه مسعى باهظ الثمن وعالي الرّهانات، إضافةً إلى أنّه عالي المخاطر من الناحية البحثية. من المقدّر أنّه لكل دواء يبلغ مرحلة الموافقة، يسقط عشرة آلاف مركّب على طول الطريق.

يُنظر حالياً إلى عدد من العلاجات لفيروس كورونا وهي أدوية موجودة أصلاً. وتحاول شركات الأدوية إعادة توظيف الأدوية المرخّصة من أجل علاج أمراض أخرى. بالتالي، تجوب الشركات والباحثون الأكاديميون مكاتبهم بحثاً عن المركبات -أي مجموعات الجزيئات التي لم تبدّ واحدة بما يكفي لتطويرها إلى أدوية.

فالبدء من عقار أو مركّب قائم خضع لبعض التقييم يعني أنّه يمكن تقصير عملية التطوير الطويلة، لكن المسؤوليات الصحافية لدراسة العملية تبقى كما هي ولا تقلّ.

لذا عندما يُرَوّج لعقار أو يُرخص عقار حيث تعيشون، هذه هي أنواع الأسئلة التي يمكن أن تطرحوا. هل كان من تجربة سريرية؟ إذا لم يكن من تجربة سريرية، ما نوع الدّراسة التي أُجريت؟ كم عدد الأشخاص الذين شاركوا فيها؟ كيف تمّ اختيار المشاركين؟ كم عدد الذين انسحبوا قبل النهاية؟ هل مات أي منهم؟ هل تمّ إعطاء دواء غفل أو دواء آخر لمجموعة مراقبة؟ ما الآثار الجانبية التي برزت؟ ما هي أهداف الدراسة، التي عادةً ما تُسمّى نقاط النهاية؟ وهل تغيّرت على طول الطريق؟ بالنسبة إلى المشاركين الذين تناولوا هذا العقار، هل كانوا سيحتسنون حتى لو لم يتناولوه؟

على سبيل المثال، كشف الصحافيون الذين طرحوا هذه الأسئلة أنّه كان لدواء الهيدروكسي كلوروكين، الذي تلقى الكثير من الثناء وكنا نتحدث عنه للتو، تأثير جانبيّ تسبّب في مشاكل في القلب. وكشفوا في دراسة أُجريت على دواء آخر، ريمديسيفير، رُوّج له كثيراً في الأسابيع القليلة الماضية وأصبح الآن معيار الرّعاية في الولايات المتحدة، أنّ نقاط النهاية للدراسة تغيّرت أثناء إجراء الدّراسة.

من المهمّ بشكل خاصّ طرح هذه الأسئلة لأنّ الكثير من العلم حول كوفيد 19 لا يتمّ مشاركته حالياً في المجلّات الطبية، التي تتفحص العلم الجديد في عملية صارمة للغاية، بل على مواقع تُسمّى خِوام الطباعة الأولى. ما يعنيه ذلك هو أنّ الفحص المعتاد للبحث، مهما كان قوياً وجيِّداً، لن يكون قد حصل بعد -لذا من الأهمية بمكان ألاّ يعتمد الصحافيون هذه الادعاءات في ظاهرها وسؤال الخبراء الذين لم يشاركوا في البحث عن رأيهم.

فلنوضح بضع نقاط حول اللقاحات. تكون العملية المتعدّدة المراحل، المتّبعة لإثبات أنّ الدواء يفعل ما يقول أنّه يفعله، عادةً أكثر تعقيداً بالنسبة إلى اللقاحات ويمكن أن تستغرق وقتاً أطول. لإثبات نجاح اللقاح، يجب إظهار أنّه يعمل ضدّ العدوى الطبيعية. بعبارة أخرى، يجب الذهاب إلى حيث المرض موجود وإعطاء اللقاح هناك، ثمّ انتظار فترة من الوقت لتحديد ما إذا

كان الناس قد تعرّضوا فعلاً للفيروس وحماهم اللقاح منه. يختلف ذلك عن تجارب الأدوية العلاجية التي تحدث عادةً في المستشفيات أو الأطر الطبية الخارجية للمرضى بين الناس الذين تمّ تشخيصهم بحالة بالفعل.

من بين الطّرق لاختصار تلك العمليّة ضمان أنّ الناس قد تعرّضوا للمرض، بواسطة السعي عن قصد إلى إصابتهم به. وتُسمّى هذه دراسات التحدّي البشري، أو في بعض الأحيان حالات العدوى البشرية الخاضعة للمراقبة. كانت تُنفَّذ في تاريخ الطب الماضي، لكنّها تُعتبر خارجة عن الحدود المقبولة في العصر الحديث، إلا إذا تمّت مع موافقة مستنيرة كاملة وبعد مراجعة من قبل السّلطات والأخلاقيات الطبيّة.

كما أنّ المقياس لمدى خطورة هذه الأزمة هو أنّ الخبراء ومنظمة الصحة العالمية يتحدّثون عن السّماح بدراسات التحدّي البشري. وقد أيد بعض علماء الأخلاقيات الطبية البارزين هذه الفكرة، وتطلب منظمة غير ربحية حالياً من النّاس الاشتراك كمتطوّعين في مثل هذه التجربة.

اعتباراً من الأسبوع الأوّل من أيار/مايو، كان عدد اللقاحات التجريبية في التجارب السريرية ثمانية، وفي مرحلة التطوير ما قبل السريري 100 -أي ليست بعد في مرحلة الاستخدام على الناس- في ما لا يقلّ عن 12 بلداً. لكن بعض التوقعات أصبح بالفعل غير واقعيّ.

هنا في الولايات المتّحدة، على سبيل المثال، قال الرّئيس "ترامب" إنّه يتوقّع تلقيح الأطفال قبل العودة إلى المدرسة في الخريف. فيما يعتبر الخبراء الطّبويون أنّ ذلك مستحيل. إذ يستغرق إتمام التجربة في أسرع سيناريو ممكن بين 12 و18 شهراً. وكان تطوير لقاح للنكاف هو أسرع عمليّة تطوير لقاح في التاريخ، وقد استغرقت 4 سنوات. أمّا لقاح الإيبولا الذي بدأ العمل به في غرب أفريقيا في العام 2016 فكان يستند إلى لقاح تجريبيّ قد تمّ التوصل إليه للمرّة الأولى في العام 2003.

لذا بالنسبة إلى اللقاحات، إنّ العقدة الأولى التي ينبغي البحث عنها هي العلم: كيف سيتمّ صنعه واختباره؟ والثانية هي الترويج الفائق الحماسة: هل من مبالغة في تقدير الفعالية؟ وهل أنّ تاريخ التسليم قريب جداً بشكل غير واقعيّ؟ والثالثة، وهي مهمّة للغاية، لأنّها حول من يحصل أولاً على اللقاح الذي سيكون مطلوباً من العالم بأسره.

في حال تمّ التوصل إلى لقاح، لن يكون من لحظة واحدة تتوقّف فيها الجرعات للعالم بأسره في الوقت نفسه. ما أن تبدأ الجرعات الأولى بالظهور، لا بدّ من توقّع منافسة شرسة عليها -إضافةً إلى المنافسة بين رأي عالميّ يقول إنّنا جميعاً في هذا معاً، ورأي آخر يعتبر أنّه على كلّ بلد أن يتدبّر أمره بنفسه.

في العام 2009 مع جائحة أنفلونزا الخنازير H1N1، التي تحدّثنا عنها في الوحدة الأولى، قام البلدان اللذان كانا المقرّين لمصانع اللقاح للإنفلونزا، وهما كندا وأستراليا، بتوقيف الاتفاقات التي كانا قد أبرماها مع منظمة الصحة العالمية بشأن إصدار دفعات من اللقاح للتوزيع الدّوليّ. وأبقيا على اللقاح المُنجز في مصانعهما لديهما حتّى تمّ الاعتناء بمواطنيهما.

يمكن أن يستحيل هذا الموضوع مسألة مثيرة للاهتمام -لأنّه صحيح أنّ تطوير اللقاحات يبدو كمسعى للعالم الصناعي، إلا أنّ مصانع اللقاحات والأدوية غالباً ما تقع في البلدان المنخفضة والمتوسطة الدخل. وهذا يعني أنّه يمكن أن يتبيّن أنّ بلدان الجنوب العالمي، التي يمكن أن تخشى استبعادها من قبل الغرب الصناعي الذي يملك المزيد من المال للإنفاق، تملك مقدراً مدهشاً من النفوذ في السباق نحو اللقاح القادم.

خلاصة القول: التشكيك، والصّرامة، والبحث عن الجهة المستفيدة. هذه هي أدواتنا الصحافيّة الرئيسية، وسنحتاج إلى تطبيقها في القصص الجارية حول العلاجات واللقاحات. ويُعتبر الوصول المحتمل لهذه الدّفاعات ضرورياً لما سنتحدّث عنه في وحدتنا النهائية التي ستصدر في الأسبوع المقبل: كيف يبدو العالم من هنا.